مناقشات

المثقفون بين الارهاب والثورة

بقلم : صلاح عيسى

القضايا التي يطرحها المسير التاريخي للواقع العربي في عصرنا ، اكثر من ان يحاط بها ، واهم ـ ايضا ـ من ان تهمل ، او تترك للمعالجات التي لاتستهدف احلام الجماهير العربية ، يعجزها عن هذا الاستهداف ضباب في الرؤية ، او تمنعها مصلحة وتشدها تطلعات .

ولقد وضع الاستاذ مطاع صفدي يده على واحدة من ظواهر المسيرة التاريخية للانسان العربي ، واختار لها عنوانا « وضع المثقفين الارهابيين » .. ثم عالجها بالطريقة التي قرئت بها في العدد الماضي من « الاداب » . وعلى الرغم من ان المقال ، قد بدا ـ اذا اخذناه ككل ـ مجرد دعوة الى ان يعلن مثقفو حزب البعث العربي ، الحرب على ارهاب الحزب ، اذ « لا شيء يعري الارهابيين المنحرفين الا التخلي عنهم نهائيا ، والدخول معهم في معركة افتضاح وتعرية كاملة » ، ذلك انه عندما « تصبح مسألة حياة الشعب وكرامته واهدافه الحقيقية ،هي موضوع المساومة القذرة ، والمفاضلة بينها وبين مصلحة الحزب ، فان المثقف مدعو ان يتخلى عن ماضيه مع المنظمة المنحرفة وعن ثروة من العلاقات الانسانية مع بعض افرادها ، من اجل ان يعيد مستقبله الى مستقبل الغالبية من ابناء شعبه » (ص٦٣) .

على الرغم من ان الهدف الرئيسي للمقال هو هذا ، وعلى الرغم من انه ليس هناك خلاف في الهدف بيني وبين الاستاذ مطاع ، اذ لا اشك في ان ارتباط اي انسان بالغالبية العظمى من ابناء شعبه اعني ارتباطه بالعمال والفلاحين ، ينبغي ان يكون فوق اي اعتبار ، ولا وجه اطلاقا بين الارتباط بالشعب ، وبين اي شيء اخر ، اذ ان موقف الانسان من هذا الارتباط هو المحك الاساسي لكونه انسانا من عدمه ، وانا اعلم كما يعلم الاستاذ مطاع صفدي ان في قواعد حزب البعث العربي عناصر لم يفقد النضال العربي الامل فيها بعد ، لانها ما زالت قادرة على ان تكشف عن وجهها الصحيح وتنطلق من غابة الدخان الازرق التي حبس فيها فكر البعث طاقات نضالها .

اقول على الرغم من كل هذا فالقضية عندي لم تنته ، واتفاقنا في الهدف لا يمكن ان يعني اننا نتفق في التحليل الذي قدمه الاخ مطاع للظاهرة ، وعندي ، ان علينا ان نهتم اكثر « بالعلة » قدر اهتمامنا « بالمعلول » !!

***

الظاهرة التي وضع الاستاذ مطاع صفدي يده عليها ، هي «ظاهرة الارهاب » في العمل السياسي ، وبالذات كاداة للتحويل الثوري ، وموقف المثقفين من هذه الاداة على امتداد التطور التاريخي للحركة العربية الوطنية التحررية بدءا من المحاولة للانفلات من اسر الامبراطورية العثمانية ، ووصولا الى مرحلة التحول التي تحمل اسم الاشتراكية .

وعلينا ونحن في صدد مناقشة بعض اراء الكاتب ، ان نعرض للمفاهيم الاساسية التي حلل بها الظاهرة ..

من هم المثقفون الذين يعنيهم الاستاذ مطاع ، والذين سجل في مطلع مقاله ارتباطهم بالثورة العربية وارتباط الثورة العربية بهم ،حتى لقد قال بان الثورة العربية ، كانت « ثورة مثقفين » ؟ انهم «جيل من الشباب يتشابهون جميعا وهم على عتبة الثورة ، يخضعون لوطأة الوعي من جهة ، ولخفة الحلم من جهة اخرى » .

وهو ـ من خلال تجربة له على ما يبدو ـ يقول لنا « لقد كنا نسأل اليس ذلك الجلاد اللئيم المحامي الفلاني ، ومساعدوه اليسوا هم الاستاذ والاستاذ ، حتى لقد سيطرت كلمة « الاساتذة » كمصطلح يومي على لسان المعتقلين ليدلوا بها على فئة الارهابيين الجدد ؟ « الاساتذة الارهابيون » .. وكلما تكررت ليالي الارهاب ، كان مثقفون معتقلون يسألون : ترى وما موقف الاستاذ فلان .. والدكتور ... و؟؟ » .

وهكذا فان الاستاذ مطاع ، يحصر القضية في هذه الفئة المتعلمة من الشباب العربي ، التي لها فكر عقائدي ، والتي تمارس الارهاب او تسكت عنه .

والاستاذ مطاع يعالج موقف هذه الفئة على مستويين تاريخيين ، مستوى الثورة البرجوازية او الثورة الوطنية التحررية ، ثم مستوى الثورة الاشتراكية ، وفي المستوى الاول يضع امامنا الفرضيات الاتية :

● ان المثقفين العرب ، نتيجة لانهم مصنوعون من مادة الحلم ، قد هللوا للثورة العربية التي استهدفت الانفلات من اسر السيطرة التركية في السنوات المتوسطة للحرب العالمية الاولى ، « ودون ان يعوا السياق الهجين لهذه الثورة ، التحقوا عاطفيا وفكريا ، وبعضهم عمليا بركب الملك وابنائه الامراء الثائرين » .

● ان هؤلاء المثقفين ، بعد ان رأوا الثورة الوطنية تستنفد اغراضها التي لم تكن تخرج عن كونها استقلالا ذاتيا وشكليا يؤكد اوضاع التجزئة في الوطن العربي ، ويتيح الفرصة « للملوك » لكي تحكم وتتسلط ، انقسم المثقفون حينئذ الى قسمين ، قسم وجد نفسه مضطرا الى الاعتراف بالامر الواقع « فالتحق هذا البعض سراعا كحاشية لهذا الملك او ذلك الامير ، وانضم البعض الاخر الى الوظائف (الاميرية) الكثيرة التي تطلبتها عملية الاستعمار الاوروبي الجديد » اما الاخرون « فقد رفضوا ان يتخلوا عن الثورة ، وراحوا يلاحقون امكانيات التفجر الجديد ضمن الشروط الاستثمارية والرجعية الداخلية » .

● ان القسم الاول ، قد ضم صفوفا كاملة من المثقفين المتعاونين مع الاستعمار والملوك والرجعية فاحتلوا مناصب ادارية ووزارية ثم « شكلوا مع الزمن طبقة برجوازية جديدة مستعدة للتحالف مع اية سلطة تسمح لها بممارسة عملية تضخيم مصالحها المادية ، والمعنوية داخل المجتمع المتطور لصالح القوى البرجوازية الاقتصادية المتعاونة مع قوى الانتداب والاستعمار » . اما القسم الاخر ، القسم الذي لم ينهزم ، وظل يرصد تجارب الثورة فقد تمزق بين نموذجين ، نموذج الالتحاق بالمثقفين الغربيين ، ويشمل الشيوعيين والليبراليين ،ونموذج يحبه الكاتب ، ويحنو عليه كل الحنو ، هو نموذج « المثقفين الثوريين المتمسكين بتراث الثورة العربية في الدعوة القومية » .

وبانتقال الاستاذ مطاع الى المستوى التاريخي الثاني الذي يعالج من خلاله قضيته ، يحدد مجاله ، ذلك ان الشرق العربي « قد خضع بعد الاستقلال لجدلية الثورة والثورة المضادة ، بشكل نموذجي حاد وشرس وبدا ان التحول الوحدوي الاشتراكي هو اقسى مخاض حاسم تعانيه الثورة العربية في هذه المرحلة من كشفها للعقبات الاعمق في بنية التكوين الاجتماعي الداخلي نفسه » .

ويقدم الاستاذ مطاع الفرضيات التالية على هذا المستوى :

● « ان انقسام المجتمع العربي بعد الاستقلال الى طبقة حكم ونفوذ اجتماعي وسياسي واقتصادي ـ والى قوى شعبية مكافحة في سبيل الوحدة كطريق وحيد نحو القوة والتحول الاشتراكي ، اعطى للمعركة صورا من العنف لم تكن تعرفها من قبل » ، « وعبر قطبي العنف .. تمارس الطبقة المثقفة نماذج معقدة من السلوك » .

● ان المثقفين العرب قد انخرطوا في العنف « عندما اتيحت لهم فرصة الحكم » ، والبدء التاريخي لهذه الظاهرة عندما « اشترك شعراء وكتاب ، محامون واساتذة ، وطلاب في الارهاب القاسمي

الشيوعي » . ثم يربط الاستاذ مطاع بين هذا الارهاب وبين الارهاب البعثي الدائر الان في سوريا ، على اعتبار ان الحركة الشيوعية والحركة البعثية قد فاقتا كل الوان الارهاب السابق لانهم « عرب وهم عقائديون وهم من طلائع نضالية كان لها جولات هي ايضا ضد الظلم والطغيان » .

● ويفرق الاستاذ مطاع بين ارهاب البعث وارهاب غيره « بانه كان هجوما شاملا على الاكثرية الساحقة من الشعب » « فالعنف البعثي لا صفة اجتماعية له على الاطلاق » وهو من « نوع ارهاب القلة المسيطرة على الحكم لغاية المصلحة الفردية للحكام انفسهم » .

***

الظاهرة اذن تستحق الدراسة ، والتأمل ، وللاستاذ مطاع فضل السبق ، وفضيلة البدء ، ولكن الخط الذي يوحد بين اجزاء هذه الظاهرة تسجيلا وتحليلا مفتقد ، فالاستاذ مطاع عندما يأخذنا معه «لنرى القضية عن قرب اكثر » لا ينسى ان يؤكد لنا بانه لا يريد « ان يناقش دوافع الارهاب ولا ظروفه . فلسنا نخوض الان بحثا ايديولوجيا،ولكنه البحث الذي هو شرط كل ايديولوجية اصيلة . انه البحث عن الانسان » ثم يقرر الاستاذ حقيقة اخرى ، او بديهية كما يسميها « انه لا حجة للارهاب ابدا ، لا شيء قبله يمكن ان يبرر حدوثه . اي ليس له اسباب «محتومة » . فمنهج الاستاذ اذن في معالجة الظاهرة هو « رفض اسباب الارهاب ورفض نتائجه . ذلك هو موقف الحرية » . ولكنه لا يستطيع ان يواصل هذا التجاهل لالف باء البحث العلمي ، فيعود بعد مسيرة ثلاثة اعمدة من مقاله لكي يتساءل « ولماذا الارهاب؟.. هل هو اختيار ما ؟ ام انه قدر محتوم ؟ وهل لمثقف مهما كانت عقيدته السياسية ان يمارس الارهاب ، ان يشارك في التنفيذ او في قبول الارهاب ؟ » .

وهو سؤال طرحه الاستاذ مطاع دون ان يجيب عليه ، فالمنهج الذي اتبعه في معالجة الظاهرة لا يؤدي الى فهم اي ظاهرة ، والاستاذ مطاع يعالج الظواهر التاريخية بمنهج اخلاقي ، فيقف هذا الموقف الثباتي من الظاهرة التاريخية ، موقف اصدار الاحكام والادانة ، والقول بان هذا فاضل ، وهذا شرير ، والمعالجة العلمية الصحيحة للظواهر التاريخية تستهدف تحليل الظاهرة ، والوصول الى جذورها ومسبباتها ، ونتائجها ومستقبلها ، وليس مجرد ادانتها . واذا كان الاستاذ يرى ان « رفض الارهاب » منهج صحيح لفهمه ، ولتحريك الجماهير ضده ، فان رفض هذا الرفض يمكن ان يكون منهجا صحيحا ايضا .

ان علينا ان نخوض في اعماق الظاهرة نفسها ، في الواقع الذي انجبها ، في الفكر الذي ولده هذا الواقع واثر به ،في العوامل المحيطة به من كل جانب ،اذ لا يوجد ظاهرة مفروضة على التاريخ ، لا توجد ظاهرة مفروضة على الواقع ، كل الظواهر ، بنت التاريخ ، والمولودة الشرعية للواقع .

***

ولنقف قليلا لنحاول استكشاف مفهوم الاستاذ مطاع عن المثقفين، في دراسة مثل الدراسة التي تعرض لها الاستاذ مطاع ، من هو المثقف ؟! ، هل هو الشاعر والقصاص والكاتب وذلك الذي يفهم في « الفنون الجميلة » . ام هو ـ بتعريف الكاتب ـ الفئات المتعلمة من المجتمع ، « الاساتذة » ، المحامون والاطباء والمعلمون والطلاب ... الخ. ام هو صاحب كل خبرة كما تذهب بعض مدارس الاجتماع التي تقول ان المثقف هو كل متخصص في فرع من فروع الخبرة العقلية او اليدوية ، وعند هؤلاء فالحلاق مثقف ، لانه صاحب خبرة في تزيين الرأس ، والجزار مثقف لانه صاحب خبرة في تقطيع اللحم ... الخ.

ان المفهوم الحقيقي للمثقف ـ في دراسة عن الحركة الثورية ـ هو ذلك المفهوم الذي يرى درجة ارتباط الانسان بمجتمعه ، خروجه من ذاته الفردية ، وارتباطه بمصلحة اوسع واشمل ، وعملية الخروج هذه عملية صعبة ، وقاتلة احيانا ، فان فيها بلا شك ، شيئا من التنازل عن مصالح مباشرة ويومية ، ولكن فيها ايضا او هي تعود في النهاية الى الذات بالفائدة اليومية المباشرة ـ ومن عملية الخروج هذه تشكل الطلائع الثورية والسياسية لطبقات المجتمع ، او تتشكل الاحزاب السياسية التي تضم المعبرين عن مصالح طبقات معينة في المجتمع ، ويندرج تحت هذه التكوينات اولا ، مفردات تنتمي الى الطبقة التي يعبر عنها الحزب او المنظمة ، وعملية انتماء هؤلاء الى تلك المنظمة عملية طبيعية ولا تتطلب سوى درجة اكبر من الوعي ومن الادراك الكامل للمصلحة الفردية داخل اطار مصلحة الطبقة ، فليس كل ملاك الاراضي مثلا مشتركين في الحزب السياسي الذي يمثلهم وانما يشترك فيه منهم من تجاوز الحد الادنى للمصلحة الذاتية اليومية الى ادراك الخط المشترك الاعظم لمصلحة الطبقة على المستوى التاريخي والمرحلي ، ثم يندرج تحت هذه التكوينات ايضا بعض ممن لا تشترك جذورهم الطبقية بالجذور الطبقية للمصالح التي يعبر عنها الحزب، فقد يشترك برجوازي في حزب شيوعي ويفرض انه لا يستهدف التدمير او التخريب ، فان عملية خروجه من ذاته الطبقية ، هي عملية اعقد بكثير من غيره ، وهي تتطلب حركة جدلية اعمق من ان نحسها لانها حركة باطنية معقدة ،وان كان الحكم العام يؤكد ان هذا المناضل يظل في مستوى اقل بكثير من مستوى العامل الشيوعي مثلا .

ومن التكوينات الطبقية التي تحتاج الى استثناء خاص في معالجة دورها التاريخي ، البرجوازية الصغيرة . والواقع ان البرجوازية الصغيرة ، ليست طبقة بالمفهوم العلمي لهذه الكلمة ، فهي مجرد فئات مشتتة ، لا تربطها عملية انتاجية متماثلة ، ولا تشدها مصلحة مشتركة، وهي تقف في المجتمع موقفا متميعا ، فان الصراع الحاد الدائر بين الذين «يملكون قوة العمل» والذين «يشترون قوة العمل» ، رغم انه يمسها ، الا انها لا تجد لنفسها فيه مجالا ، فلا هي تشتري «قوة العمل» ولا هي تبيعها ، وهي تنغلق في ورشها الصغيرة ، وربما تحول بعضها بعد ان يسحب التقدم الصناعي الارض من تحته ، الى عمال ، فانضم بكل عقده واحلامه الى فئة الذين يبيعون قوة العمل ، بينما يبقى البعض الاخر صامدا بقوة القصور الذاتي ، يعيش في يوتوبيا رجعية ، يحلم فيها بان تنمحي المصانع الضخمة من الوجود لكي يعود فيكون صاحب السلع والنقود ، وربما تعلق البعض الاخر بامل الوصول يوما الى الطبقات العليا في المجتمع ، هذه الفئات المشتتة ، التي تعمل،ويشترى قوة عملها « كائن هيولي » اسمه « المجتمع » ، والذي بدأت تكشر ويقدم لها التعليم طرحا جديدا ، ويقدم لها جهاز الدولة الذي بدأ يتضخم عقب انهيار النجزئة الاقطاعية امكنة لكي تشغلها ، هذه الفئات تأخذ وضعيتها الخاصة في ان عدم وجود الخط الطبقي المشترك، جعلها تتجه اتجاهات عدة :

● ففئات منها بدأت تلتحق بالطبقات الحاكمة،وتشكل جزءا هاما من كيان هذه الطبقات باعتبارها اداة لا اكثر .. وفئات اخرى بدأت تلتحق بالشعب ـ بمفهومه التاريخي ـ ومن هنا فنحن نلاحظ ان الاحزاب الشيوعية في الوطن العربي قد اعتمدت في طلائعها غالبا على مثقفين من البرجوازية الصغيرة (ولعل هذا هو سبب العديد من الاخطاء التي وقعت فيها هذه الاحزاب) .

● وبقيت فئات اخرى ، تلتحف بفكر البرجوازية الصغيرة الاصيل، الفكر الطوباوي الذي يهرب الى الماضي ، باحثا عن حلم مجنون يريد ان يحققه ، مجد .. اندثر في رغام الحركة التاريخية ، امبراطورية سقط تاجها ، وتحطم عرشها ، وقتلت تحت الانقاض جواريها وعبيدها وامبراتها الجميلة ، من هذه الفئة خرجت كل الحركات التعصبية ، خرجت من الاصول الاولي للفكر الصهيوني ، وخرجت منها في مصر ، العهد الاول من حركة « مصر الفتاة » و « حركة الاخوان المسلمون » ، ومن هذه الفئة تخرج الاحلام الضبابية المنعزلة عن الجماهير ، ومن مواليدها « حزب البعث العربي الاشتراكي » .

المثقف اذن هو الانسان الذي يخرج عن ذاته المباشرة ، لكي يلتحم بالخط المصلحي لطبقته ، او يخرج من ذاته ، ومن ذات طبقته لينضم

الى الخط المصلحي لطبقة ضد طبقة !

المثقف ليس مفهوما مطلقا ، له وضع طبقي اصيل .. !

***

والارهـاب مـا هو ؟!

الاستاذ مطاع فيما يبدو ، كاره شديد الكره للدم ، بكل اشكاله ، لا يقبل له تبريرا ، ولكننا ـ كما اوضحت ـ الا نتعامل مـع الظواهر التاريخية بهذا المنطق الهروبي ، فالدم يا استاذ مطاع قد اريق والـذي كان قد كان ، فاما ان ندير له ظهرنا ، واما ان نحاول ان نناقشه . تلك واحدة !.

واما الاخرى ، فهي ان الاستاذ لا يعترف بمنطق الدم ابدا ، انـه يرفض الثورة المسلحة ، فهو « انسان » الى اخر مدى ، وقلبه فيمـا يبدو شفوق جدا ، فهو يقول « ان بعض المتطرفين من المفسرين الحرفيين للماركسية ، يعتقدون ان ثورة البروليتاريا لا تتم الا بالعنف ولا يمكـن حمايتها في المرحلة التالية الا بمزيد من العنف ايضا . وبالرغم مـن اننا لا نريد ان ندخل في نقاش ايديولوجي مع هذا الطراز من الفكـر الثوري الاحمر . الا اننا نقول ان الحكم المرتكز علـى اكثرية الشعب . والبروليتاريا هي هذه الاكثرية ، لا يمكن ان يلجأ الى الارهاب فقد تكون الشدة لفظا افضل لتلك الصداقة التي يحتاجها حكم شعبي حقيقي ».

والواقع ان الاستاذ مطاع لم يقدم لنا مفهوما متكاملا لهذا الـذي يسميه ارهابا ، وايضا فانا لا اعرف الفرق بين (الشدة) والارهاب . ولكني اود ان اقول ان انقلاب السلطة ليس مسألة عادية وطبيعية ، انها مسألة مصالح . على الاستاذ ان يوضح لنا معنى « استيلاء الشعب على السلطة » ، الا يعني هذا « الاستيلاء على المصانع والحقول وكـل شيء لمصلحة الجماهير » ، اذا كان يعني هذا فان الذين يملكون هذه الاشياء لا يمكن ان يسكتوا ، ولا يمكن ان ينحنوا مبتسمين لنا ويقولوا تفضلوا ، وامامنا تجربة ، تجربة الاتحاد السوفياتي ، وانت تعلم انهـم استدعوا ١٨ دولة اجنبية لكي تمنع العمال من الاستيلاء على المصانع ، وقتلـوا الالاف في حرب اهلية استمرت اربع سنوات كاملة . اما اذا كـان « استيلاء الشعب على السلطة يعني ان يجلس انسان على مقعد رئيس الوزراء يكون ابوه فلاحا مثلا » ، فهذه مسألة بسيطـة ، وعادية ، ولا تحتاج لا الى شدة ولا الى ارهاب ...

ان الارهاب كما افهمه ، ينبغي ان يعالج على مستويين ، مستـوى الاعداد للثورة ، ومستوى تثبيت السلطة الثورية الجديدة ..

في المستوى الاول ، ما الذي يعنيه بالارهاب ؟ الارهاب عمل فردي ينطلق من مفهوم خاطىء للثورة ، الارهاب تمرد يحركه السخط ، تمـرد منفصل عن الجماهير وعن حركتها الثورية ، ان الارهاب ـ في هـذا المستوى ـ هو محاولة تغيير النظام الاجتماعي بوسائل جزئية وفردية ، وبعيدا عن تحريك الجماهير ، ومن هنا فالارهاب يحركه عقل انقلابي ، ولا يحركه عقل ثوري ، ولقد شاهدنا في مصر مثلا هذه الظاهرة بعـد توقيع معاهدة ١٩٣٦ التي كانت الارهاص باستسلام القيادة البرجوازية القديمة للاستعمار ، وكانت فئات متعددة من البرجوازية الصغيرة ، قـد اشتركت في الثورة القومية الاولى عام ١٩١٩ ، ثم كان استسلام هـذه الثورة للانجليز وللسراي فيما بعد هو اشارة الخروج لهـذه الفئات ، فقد انفصلت عن التنظيم الثوري للبرجوازية وبدأت تعـد تنظيماتها المستقلة . فتحول جزء منها الى تنظيمات علنية تستهدف اعادة المجـد القديم ، مجد مصر العظيمة ، الامبراطورية التي ولدت اخناتون وتـوت عنخ آمون ، واحمس ، وكانت حركة « مصر الفتاة » هي الحركة الممثلة لهذا الفكر او اعادة مجد الاسلام « انما امتكم امة واحدة » ، مجـد الدولة الاسلامية التي كانت على وشك الاستيلاء على اوروبا ،والوصول الى العالم الغربي واخضاعه ، لولا ان حل الفساد بالمسلمين ، ودخـل الشر في نفوسهم فنسوا الله ، ونسوا تعاليم الرسول ، والحل هـو العودة الى الدين وتكوين الدولة الاسلامية الجديدة العظيمة ، وكـان هذا هو فكر « الاخوان المسلمون » .

● وكان الجزء الاخر من الشباب ، جزءا حالمـا ، رومانتيكيا ، يعيش من خلال فهم خاص للوطن ، انضم هذا الجزء الـى الجمعيات السرية الارهابية ، وبدأ يحاول تنفيذ فكرة ، فبدأ يقتل الجنود الانجليز في الطرقات ، ثم وجه همه الى قتل الزعماء الذين يتعاونون مع الانجليز،

وقد ملأ هذا الجزء من الشباب المصريين تاريخ مصر بالدم ، نسف المحلات التجارية ونسف دور السينما ، والملاهي ، وقتل الكثيرين مـن المصريين ، وقتل انجليز كذلك ، ولست هنا اعترض على قتله الانجليـز ـ فرغم انني شفوق كالاستاذ مطاع الا ان قتل المحتل حـلال عندي ـ ولكنني اعترض على الاسلوب الثوري نفسه ، ان قتـل زعيم او زعيمين لم يخرج الاحتلال ، وقتل الف جندي في معارك في الطريق لم ينـه الاستغلال الاقتصادي لمصر ... وكانت هذه النماذج من المناضلين عاجزة عن ادراك التطور التاريخي ، كانت تعيش مـن خلال احساس ذاتـي بالهزيمة ، يقول الاستاذ وسيم خالد في مذكراته السياسية ، وهو احـد المناضلين الذين مارسوا العمل في هذه الجمعيات الارهابية « لقد كانت تفاهة الحياة في ظل احتلال استذلنا وامتهننا كرجال هي التي فرضت خروج هذه النماذج من الثوار التي خنقها احساسها بتفاهة حياتهـا وبالتالي حياة الاخرين ، وبالحياة في مصر عندئذ عموما .. كانت الحياة عبثا في حين آمنوا بالحياة وارادوا ان يضعوا حياة جديدة ولو بالموت .. ارادوا ان يهدموا كل شيء قام عندئذ ليسمحوا بامكانية حيـاة جديدة يعامل فيها الانسان كانسان » (١)

وتكشف مراجعة وثائق قضية الاغتيالات السياسية ، عـن الكثير من اتجاهات ذلك الجيل ، فقد استدعى المحقـق ـ الاستاذ كامـل القاويش ـ المتهم محمود مراد ، لكي يعترف امامه ، فبدأ محمود مـراد يقول « اسمع يا كامل بك ، انا عاشق ولهان ، قد عذبني الحب،وملكت الحبيبة علي مشاعري فانا اراها في كل وقت ، وفي كل مكان ، واراها على وجه الخصوص اذا سجا الليل ، ولكن ليلاي يا كامل بك ليست ليلى العامرية ، ولا ليلى الاخيلية ، ولا ليلى المريضة بالعراق ، بـل ولا ليلى مراد ، وانما هي ليلى المصرية .. ليلـى الهيفاء السمراء ذات الشعر الفاحم والعيون الصحاح المراض ، انها سعادتي وبلائي . شقوتي وهنائي . احبها حبا يقرب من الجنون واغار عليها غيرة المفتون ، وان اشقى ما يشقيني ان ارى الى جانبها اجنبيا اشقر ذا عيون زرق يغازلها ويحاول ان يصل الى قلبها ، ويل له مني والله لاقتلنه او يبتعد عـن طريق ملاكي » (٢)

وقد سأل المحقق الاستاذ حسين توفيق زعيم هذه الجمعية ـ ولعل اخواننا في سوريا ولبنان يذكرونه فهو الذي حاول قتـل الشيشكلي بعـد ذلك .

« س ـ ما هي اغراض هذه الجمعية ؟

« ج ـ الوصول الى استقلال البلد عن طريق القوة بمعنى طرد الانجليز بالقوة .

« س ـ لكن اقتراف جريمة قتل امين عثمان باشا مثـلا لا تؤدي الى اخراج الانجليز كما تزعم .

« ج ـ لاننا لا نريد ان يحكمنا الانجليز بواسطة بعض الخونة مـن المصريين وكل من يتعاون معهم مع الانجليز بأي شكل من الاشكال .

« ـ س ـ وماذا كانت خطتكم ؟!

ج ـ ابتدانا بالنحاس باشا وامين عثمان ولسه بقي لمـا نخلص منهم يمكن يكونوا اللي بعدهم يخافوا ولا يتعاونوش مـع الانجليز او يستقيلوا او يعتزلوا السياسة او يسيبوا البلد ويطفشوا »(٣) .

هذا هو المفهوم الذي يقدمه العقل الارهابي للثورة ، وللتاريـخ، فالاحتلال يمكن ان ينتهي بمجرد قتل زعيم او زعيمين ، فيهرب الاخرون،

(١) وسيم خالد ـ الكفاح السري ضد الانجليز ـ دار ومطابع الشعب ١٩٦٣ ـ ص ١١

(٢) لطفي عثمان ـ المحاكمة الكبرى في قضية الاغتيالات السياسية ـ دار النيل للطباعة ١٩٤٨ ص ٢٧٤

(٣) المرجع السابق ص ٢٥٣

وتحل القضية الوطنية ، واين الجماهير ؟ اين الشعب ؟! اين العمال والفلاحون ؟ . يقول وسيم خالد « وجدت نفسي افز موسوليني في حدود الفروض التي ساقها على ان الاغلبية يمكن ان تخطىء ولا بد من فرض الاراء عليها » (١) ، ثم يرسم صورة غريبة للتوحش الفردي الذي هو مولود طبيعي للانعزال عن الجماهير « وغرقت تماما داخل نفسي وابتدأت ادرب نفسي نفسيا لتحمل ما عرفت انه قدر علي عندما انمو قليلا ، ويوجعني حذائي الضيق واكاد اصرخ من الالم فأرد « لا يوجد شيء اسمه الالم .. لا يوجد شيء اسمه الالم ، وامسك عود الكبريت وهو مشتعل لا اتركه ابدا مهما اكلت النار في لحم اصابعي ، واردد : الارادة هي كل شيء » (٢) .

هذه الذاتية المفرقة ، المنعزلة ، التي تسعى الى الحصول على القوة من داخلها ، وليس ممن حولها ، من الناس، من احلامهم ، وامانيهم، وعذابهم اليومي المتصل ، عذابهم الجماعي الذي لا تقتصر صورته على كونه قتلا او سجنا ، العذاب الجماعي شيء اخر تماما ، فان قتل انسان قد يبدو شيئا خطيرا ، ولكنه ايضا شيء مؤقت ، ولا يحدث كل يوم ، ولكن مجموع العذاب اليومي الذي تعانيه الملايين شيء ارهب بكثير ، هذا العذاب الذي هو خليط من لعنات الذين يجدون المواد التموينية ، والذين يجدونها ولا يجدون النقود ، والذين يتزاحمون في المستشفيات العامة يتسولون الشفاء ، والذين ينتزع منهم ابناؤهم لكي يحاربوا حروبا لا معنى لها ، والذين يقلقهم الخوف على البنات ، عندما يهددهن العنس ، وصرخات ربات البيوت والمومسات والبائعين والموظفين والعمال في المصانع والذين يبولون دما ويتبرزون صديدا خلف المحراث او امام الشادوف ، هذا العذاب اليومي الرهيب هو الذي يعطي القوة النضالية الحقيقية ، ويعطي الذات قدرة على مواجهة كل التحديات ، هذه قوة تأتي من الخارج ، من الناس ... والعذاب اليومي للجماهير ، قوة دائمة ، لانه يحدث كل يوم ، كل لحظة زمن ، بعكس قتل انسان ، ان عشرات الناس تقتل كل يوم ، ولكن ملايين منهم تصنع العذاب الحقيقي الذي ـ لكونه بسيطا ومتكررا ـ يبدو كما لو كان ظاهرة طبيعية لا تسير الدنيا من غيرها .

يحلل الاستاذ وسيم خالد جزءا من نفسية حسين توفيق ـ احد زعماء الجمعيات الارهابية ـ فيقول « وبات يتخيل الجمعية وهي تنمو حتى تضم الف مقاتل يلقون بالانجليز في البحر ، وانعزل تقريبا عن التفكير في جموع الناس ، ولم يفهم طبيعة دوره الحتمي ، وانه لا يتعدى هو وكل رفاقه بكل اعمالهم ان يكونوا شرارة تفجر دوافع الشعب الثورية، حتى تقوم القيادة التي ترتبط بالشعب خلال المعارك الطويلة »(٣) .

لقد كان هذا الجيل من ابناء مصر ، هو جيل العذاب بحق ، لقد تحرك وراء شعارات صوفية ورومانسية ذلك الحب الفردي الذاتي لمصر، الفتاة السمراء ذات العيون الخضر ،والشعر الاسود، والجسد الخمري الخصب خصوبة ارض الدلتا ، الفتاة التي تتفجر روحها بالشفافية والصفاء ، والتي يعطي جسدها الولود اجيالا اخرى ، وتظل حتى سنوات عمرها المتأخرة ، قادرة على اعطاء الحياة افرادا جددا ، وهذه الكراهية العنيفة لكل من يمسها ، يحاول ان يلمس صدرها او جسدها، او يطأ بالاقدام شفافية روحها ، « اسمع يا كامل بك .. انا عاشق » ، خلف هذا العشق خرج الجيل ، خاض باقدامه في الدم ، اطلق الرصاص على مصريين وانجليز ، كان بعضهم يسير في الطرقات ، يتنزه، او يفكر ، او يحلم بأرضه ، وربما كان يمارس نشوة عصبية مع انثاة.. لقد تحول افراد من هذا الجيل المصري « وهم ما كادوا يخلعون البنطلون القصير الى رجال يستطيعون ـ نفسيا ـ ان يضغطوا التتك ليزهقوا روحا بشرية والعذاب الذي قاساه كل من اضطر ـ ولو بالمشاركة النفسية ـ ان يذوق الدم ـ ولو كان صاحبه جنديا مستعمرا ـ شيء مرير ، مفجع ، يروع اكثر من العقاب المادي نفسه الذي كانت تفرضه حكومات موالية للانجليز .. انه شيء يدمر النفس البشرية ويشوهها حتى في نظر صاحبها » (١) .

وضغطة التتك مسألة تحتاج الى فلسفة ، انها ليست شيئا سهلا، لكي اقتلك ـ وبالطبع فانا افترض انني لست قاتلا محترفا ـ فانني احتاج الى قوة نفسية وفكرية تقنعني ان ما افعله هو الصحيح ، وانني افعله بسبب كذا وكذا ، الم تر الريفي الذي يقتل ببساطة ابنته الخاطئة ، دون ان يذرف دمعة ، وهي ابنته بينه وبينها وشائج وروابط وسنوات حب وضحك وبكاء وانفعالات ، ولكنه يطلق عليها النار ، ببساطة وتفكير وتدبير ، ويضحك بعد ان يفعل هذا . اما الجيل ، فان الشعارات الصوفية التي تحرك خلفها لم تكد تحمل ابعاد الحركة الاجتماعية ، ولا تفاصيلها الدقيقة ، وكان افراده يستوحشون داخل نفوسهم ، حتى لقد كان من المحتمل ان يتحولوا الى مجرمين عاديين وليس مكافحين سياسيين .

لم يدرك الجيل اذن ان امين عثمان(٢) ليس هو المأساة ، وانه ليس سوى ممثل سياسي فحسب لفئة من البرجوازية المصرية ، ارتبطت مصالحها بمصالح الاستعمار ، وتداخلت رؤوس اموالها مع رؤوس الاموال الاجنبية ، وتزاوجتا معا زواجا كاثوليكيا ، لا انفصال فيه ، ولم يقض قتله على الكومبرادور ، لان هذه الفئة ظلت تناوىء السلطة الجديدة التي وجدت بعد ثورة يوليو ١٩٥٢ سنوات ، حتى امكن القضاء عليها قضاء تاما .

ولم يدرك ان الاحتلال لا يمكن ان يخرج الا في معركة مفتوحة بينه وبين الشعب ، معركة حدثت بعد ذلك بعدة سنوات في بورسعيد.

***

والارهاب بهذا المفهوم ، يختلف في مستوى الاعداد للثورة ، عنه في مستوى تثبيت السلطة ، فقد يقوم انقلاب رجعي مثلا ، هذا الانقلاب هو الذي يمكن فقط ان تسمى الاجراءات التي يتخذها وهو في السلطة ارهابا ، اما اي اجراءات تمارسها قيادة شعبية بعد استيلائها على السلطة ضد الاقلية المنهزمة ، فهذا شيء لا يحتاج الى نقاش ، ولا الى تفرقة بين شدة وارهاب ، ولنلاحظ هنا ، ان المسألة فعل ورد فعل ، وانا اوافق الاستاذ مطاع على ان الاغلبية ليست في حاجة الى الارهاب ، ولكن الاقلية المنهزمة صاحبة السلطة المسلوبة ، والارض المهددة ، والمصانع الموشكة على الذهاب بلا عودة ، هذه الاقلية لا يمكن ان تسكت ان لم تقاوم علنا ، خربت في الداخل ، بالاشاعات،بالدسائس، بالاستعانة بقوى اجنبية ، بالتجسس ، كل وسيلة ممكنة او غير ممكنة ، المسألة مسألة حياة او موت ، هذه الاقلية ماذا تسمي جهد الاغلبية لحماية نفسها منها ؟ ارهاب ؟ ان هذا كثير !!

وعلى ضوء هذا الطرح النظري ، يمكننا ان نناقش موقف البعث .. الذي يعنيه فكر البعث ؟! وما هو الخط التاريخي الذي يسير فيه اليوم ، ومن يخدم حكمه ؟.. ومن يخدم ارهابه !!

● من البداية ، احب ان اقول ان شباب البعث ، شباب مثقف فعلا ، لا لان فيه محامين ، او طلابا ، او اطباء ، او لانه حزب اساتذة كما يعتقد الاستاذ مطاع ، ولكن لان اعضاءه قد رأوا ابعد من ذواتهم ، واستكشفوا الخط المشترك الذي يجمع مصلحة فئة ما من فئات المجتمع .

● ومن البداية ايضا ، اود ان اعترض على ان الاستاذ مطاع

(١) وسيم خالد ص ٣٥
(٢) نفس المرجع ص ٤١
(٣) وسيم خالد ـ ص ٦٩

(١) نفس المرجع ص ٩

(٢) امين عثمان باشا ، سياسي مصري ، كان وزيرا للمالية في احد الحكومات الوفدية ، وكان من دعاة الارتباط بالاستعمار ، انشأ رابطة النهضة ، لتوثيق الروابط بين مصر وانجلترا ، كسبان يقول للشباب « انا عاوز اعمل منكم ليدرز (يعني قادة) انجلترا غلبت المانيا ، فيه مجانين عاوزين يحاربوها » ، ونظم حملة تبرعات جمع فيها مائة الف جنيه لبناء قلوية انجليزية . له تصريح شهير قال فيه ان مصر وانجلترا قد تزوجتا زواجا كاثوليكيا لا انفصال فيه .

صفدي ، قد ربط ما بين الارهاب الشيوعي وما بين الارهاب البعثي ، واعتبرهما ظاهرة متكاملة ، وفسرهما تفسيرا واحدا ، ـ واذا فرضنا جدلا ـ ان هناك ارهابا مشتركا بين هذين الفكرين ، فان التفسير ينبغي ان يراعي عداء كل من الايديولوجيتين للاخرى ، لماذا يتفقان في هذه الظاهرة ، ويختلفان في اشياء اخرى كثيرة ؟! هذه مسألة هامة ، كان من الضروري ان يكشفها لنا الاستاذ مطاع ..

● الذي اود ان اقوله بشكل حاسم ، ان الفكر الماركسي لا يعترف بالارهاب ، ولا يدخل ضمن فهمه الخاص للتاريخ ، ولحركة الثورة ، فالفكر الماركسي حياته الجماهير ، وتكوينه الاساسي يعتمد على الجماهير ، والاجراءات التي تتخذها أي سلطة تعتمد على الفكر الماركسي ضد الذين يناوئونها اجراءات لا تحتاج الى دفاع ، طالما هي موجهة ضد الاقلية الساقطة المنهارة ..

ولكننا في الوطن العربي مغرمون دائما بتسمية الاشياء بغير مسمياتها ...

فاذا قام مجنون مدع مثل قاسم ، لكي يبطش بالجميع القوميين والشيوعيين والليبراليين ويؤكد بحكمة اوضاع المجتمع العراقي المنفسخة ويقدم واجهة جديدة للرجعية العربية ، ثم يخدع الجميع ويضرب الكل بالكل ، ويلغ في الدم هلل بعض الناس وقالوا : هذه هي الشيوعية .. !! ولدى الجميع احساس بأن الشيوعية هي الخصم الذي يجب ان يشوه وان يمسخ وان يزيف ، بكل طريقة ، بتسقط الاخطاء ، باصطياد التهم ، بالاتهام بالخيانة والمروق والتبعية الاجنبية، ومن هنا فلتلصق الشيوعية بكل مجنون ، بكل مشوه ، بكل حقير ..!! هذه هي الطريقة التي نعالج بها الفكر الماركسي عندنا ، وهي طريقة مضحكة للغاية .. ومبكية ايضا .. فعندما قامت سلطة ٢٣ يوليو ١٩٥٢ ، وبعد انقضاء الشهور الاولى منها ، خرج جميع من كان بالمعتقلات ـ الذين سجنهم فاروق ـ من الحزب الوطني والوفد والاحرار والحزب الاشتراكي ، والذين سجنتهم السلطة الجديدة ، كبار ملاك الاراضي ورجال السراي ووزراء العهد البائد ، خرج الجميع ما عدا الشيوعيين المصريين ، الذين كانوا في سجونهم منذ اودعهم فيها صدقي ، المضحك في كل هذا ـ او المبكي لا ادري ـ ان الملك فاروق كان في كابري ايامها يصرح : لقد قامت ثورة شيوعية في مصر، ان محمد نجيب وجمال عبد الناصر والاثني عشر ضابطا جميعا شيوعيون !! .

والغريب ان كل الذين يناقشون الفكر الماركسي ، ومواقف الحركة الشيوعية المصرية او السورية او اللبنانية ، يتذكرون الاخطاء فقط ، ولا يتذكرون أي حسنة، كأن هذه الاحزاب ما ولدت الا للخطيئة!! هذ هو الشيء الوحيد الذي يتفق عليه الجميع ..

ويقول بعضهم : نحن اشتراكيون ، ما ابكى بعض الضحكات !!

***

ان فكر البعث ، هو الشيء الذي يمكن ان يلد الارهاب بحق ..

● فهو فكر تهويمي ، صوفي ، يهرب من العلم ، ويحتمي بالشعارات البراقة ، والرومانتيكية المريضة « اخشى ان تسف القومية عندنا الى المعرفة الذهنية والبحث الكلامي ، فتفقد بذلك قوة العصب ، وحرارة العاطفة ، كثيرا ما اسمع من الطلاب اسئلة عن تعريف هذه القومية التي ننادي بها . وكأني بهم يعلقون ايمانهم بالقومية على درجة التعريف من الصحة والقوة . مع ان الايمان يجب ان يسبق كل معرفة ويهزأ بأي تعريف بل انه هو الذي يبعث على المعرفة ويضيء طريقها » (١) .

« القومية التي ننادي بها حب قبل كل شيء » (٢) « وكما ان الحب لا يوجد الا مقرونا بالتضحية فكذلك القومية ، والتضحية في سبيلها تقود الى البطولة ، اذ ان الذي يضحي من اجل امته ، دفاعا عن مجدها الغابر وسعادة مستقبلها لارفع نفسا واخصب حياة من الذي يحصر تضحيته في شخص واحد » (٣) . ولان القومية حب ، فهي تحتاج الى محبين من نوع خاص ، فان الذي يحب « لا يسأل عن اسباب حبه . واذا سأل فليس يواجه له سببا واضحا . والذي لا يستطيع الحب الا لسبب واضح يدل على ان الحب في نفسه قد فتر او مات » (٤) .

« الحب ايها الشباب اولا ، والتعريف يأتي بعده » (٥) .

هذا التهويم الذي لا تستطيع ان تمسك منه كلمة ، اذ تنزلق بين بديك الكلمات ، هو الاساس الذي ينطلق منه فكر البعث ، شعارات براقة ، « فالبعث العربي هو ارادة الحياة » ، « والقومية قدر محبب» ومن هنا فهو غير قادر على هز عقلك بشيء ، وان كان قادرا مع بعض النفوس ، ومن طبقات محددة من المجتمع ، ان يوقظ فيها احلام الماضي ، ان القومية ليست فكرة ، ولا نظرية ، وليست علما، بل هي (تذكر .. تذكر ص) (٦) .. انها تذكر للمجد العظيم ، لاجدادنا الذين حكموا الدنيا ، « قد يكون قاسيا هذا القدر الذي القى بنا في عصر الضعف والمذلة والتناخر والتفرقة ، بدلا من ان يوجدنا في عصر الوليد او الرشيد ، فنستند الى دولة عزيزة منيعة ، وشعب ناشط موحد الكمة ، وحضارة ساطعة الضياء » (٧) ، والذين يقرأون التاريخ ، دون ان تبهرهم كلمات المجد والعظمة ، يعلمون ان الوليد والرشيد لم يكن يحكم الامبراطورية العربية ، لمصلحة الفلاحين الفقراء ، ويعلمون ان الظلم والطغيان والاضطهاد الطبقي العنيف ، كان ميراثا ، يسلمه كل خليفة لمن بعده ، ضد كل شيء ، ضد كتاب الله ، ضد دعوة محمد في جوهرها الانساني العظيم ، وما احلاها امبراطورية ، امبراطورية العبيد والغلمان والموالي والجواري !! . ولكن الفكر البعثي ، يؤمن انه من غير الممكن « قطع الصلة نهائيا بالماضي ، بل على العكس فان الماضي هو الوقت الذي تحققت فيه الروح العربية » (٨) .

ان الاشتراكية في الوطن العربي ، هي ثورة جماهير العمال والفلاحين ضد الاقطاع والرأسمالية .. ليس هدفها اعادة مجد الرشيد ، او الوليد ، ذلك ضد منطق عصرنا ، ضد طبيعة الامور . والفلاحون والعمال بعد لا يهمهم هذا المجد ، لانهم ـ رغم انهم هم الذين صنعوه ـ لم يستفيدوا منه .. ولم يكن ابدا لهم ..

● اما الاشتراكية البعثية ، فهي حركة لها قوانينها الخاصة ، ذلك ان « البعث العربي حركة اصيلة لا تقبل التقليد والسطحية » (٩) ومن هنا فان الاشتراكية الشيوعية التي « لا يقتصر معناها على التنظيم الاقتصادي وانما تخضع لاغراض واهداف مستمدة من النظام الشيوعي بمعنى ان الشيوعية ـ كنظرة عالمية ـ تسعى الى تحقيق ثورة شاملة في اوضاع العلم » (١٠) هذه النظرة ، بعيدة كل البعد عن رؤية البعث للاشتراكية فهي عنده « يقتصر معناها على التنظيم الاقتصادي الذي يهدف الى اعادة النظر في توزيع الثروة في الوطن

(١) و (٢) و (٣) و (٤) ميشيل عفلق ـ في سبيل البعث ـ دار الطليعة للطباعة والنشر ـ ١٩٥٩ ـ ص ٢٩

(٥) نفس المرجع ص ٣٠ (٦) ص ٢٨ (٧) ص ٣٢ (٨) من مقدمة الدكتور سعدون حمادي لنفس المرجع ص ١١ (٩) ميشيل عفلق ـ المرجع السابق ص ٩٦ (١٠ ، ١١ ، ١٢) نفس المرجع ص ٩٦ .

لجميع مطبوعاتكم راجعوا مطابع :

دار الفكر للطباعة والنشر

بيروت ـ تلفون ٢٢٢٩٢١

العربي » (١١) فاشتراكية البعث « تعتبر ان اغزر قوة في الامة العربية تكمن في الدوافع الذاتية للافراد ، لذلك ابقت على حق الملك لكنها حددته بقيود ثقيلة تزيد المحاذير التي تنشأ عنه » (١٢) ، هذا والاشتراكية البعثية ايضا « ليست نتيجة حتمية للصراع الطبقي »(١).

وللبعث اسلوبه الخاص في تحقيق انقلابه ، فهو تنظيم سياسي يعمل للاستيلاء على السلطة ، وهو يرى ان « من خصائص المرحلة الانقلابية ان تكون قيادة الحركة الشعبية بيد اقلية » ، ف « ان الثورة في كل بلد ، وفي كل شعب ، هي جهد اقلية منه ولكنها اقلية من نوعية خاصة » (٢) .

وهذه الاقلية ليست فكرة فـ « العمل القومي القابل للنجاح لا يقوم على فكرة مجردة ، بل على فكرة تتمثل في اشخاص ، وهذا التعلق بالاشخاص وحده ينفخ الحياة في الحركة لان بدونه يبقى الاجتماع نظريا » (٣) .

« والعمل القومي القابل للنجاح هو الذي يدفع الى الكره الشديد حتى الموت نحو الاشخاص الذين تتمثل فيهم الفكرة المعاكسة لفكرته ، فمن العبث ان يكتفي افراد الحركة بمجادلة النظريات المعادية لنظريتهم ، وان يقولوا ما لنا وللاشخاص ، ان النظرية المعادية لا توجد وحدها ، وانما تتجسم في اشخاص يجب ان يبيدوا لتبيد هي الاخرى» (٤) ، « واذا استتلمنا الحكم في سوريا فاننا نزيل الفروق ونحقق العدالة ولكنا سنستعد لتكملة الباقي ، وربما لا نعطي الشعب كل ما يريده ، بل ربما اخذنا من حاجاته لتغذية الجيش وتحقيق الانقلاب في البلاد العربية كلها » (٥) .

***

ان فكر البعث ، بكل تهويمته هو صورة اخرى من حديث محمود مراد « يا كامل بك .. انا عاشق » !! لا شيء على الاطلاق يمكن ان يكون برنامجا ، والبعث عندما وعد البرجوازية السورية بعدم تأميم ممتلكاتها ، وعندما تحالف معها ، وعندما وقع وثيقة الانفصال الاجرامية في سبتمبر ١٩٦١ ، وعندما لعب دوره في المناورات الحقيرة اثناء مشاركته في السلطة السياسية للجمهورية العربية المتحدة عهد الوحدة ، انما كان يمارس فكرة المتآكل .. بصدق ننحني له !

لقد انطلق فكر البعث ، من منطلق انتهازي ، وهللت له الجبهات الرجعية ، باعتباره حركة مواجهة للفكر الماركسي ، وقادرة على اجتذاب المثقفين العرب بعيدا عن الماركسية ، التي ظلت ، وستظل الخطر الحقيقي على المصالح الطبقية الرجعية ، ومن هنا فانه لا اصول علمية ولا غيرها يمكن ان تجدها في فكر البعث .. مجرد كلمات مرصوصة ، لها رنين خداع ..

ان الدعوة اليوم ، ليست هي الدعوة الى تهديم البعث كحزب ، او الى اعادته بعد استبعاد المنحرفين ، انما هي اولا واخيرا اسقاط فكر البعث .. !!

لقد تشوه الفكر الماركسي عندنا ، بفعل مخطط قذر ، ساهم في وضعه الاستعمار والرجعية المحلية ، وشارك في تنفيذه ـ بكل اسف ـ بعض العناصر الشيوعية في الوطن العربي ، بانحرافها احيانا ، وبتطبيقها الخاطىء احيانا اخرى ، وهذا وحده هو ما اعطى فكر البعث فرصة التمدد والتضخم ، واجتذاب بعض العناصر الجماهيرية.

ولكن ارتباطنا جميعا كمثقفين ، سمحت لنا ظروفنا الخاصة ، ان تنطلق من اسر الذات ، لكي نلتحم بعذاب الجماهير العربية ، والجماهير في كل مكان ، هذا الارتباط مع اتاحة فرصة الصراع الفكري الحر ، سيجعلنا قادرين على ان نتعلم من جماهير شعبنا .. الطريق الى النصر .

القاهرة — صلاح عيسى

(١) مقدمة الدكتور سعدون ص ٩ (٢) ميشيل عفلق ـ المرجع السابق ص ١١٦

(٣) ص ٤٠ (٤) ص ٤١ (٥) ص ٩٩ .

لجنة التأليف المدرسي

بعض ما اصدرته من الكتب المدرسية

المروج

سلسلة كتب حديثة مصورة في القراءة العربية تقع في ستة اجزاء ويلحق بها كتاب ((المروج الملونة)) اعد خصيصا لحدائق الاطفال
(اوصت وزارة التربية الوطنية بتدريسها في مدارس لبنان)

مراحل القراءة

سلسلة جديدة مصورة في القراءة العربية تقع في خمسة اجزاء منها مرحلتان تمهيديتان بعنوان ((مراحل الالفباء))

مراحل الادب العربي

سلسلة في المطالعة والادب لمرحلة التعليم الثانوي تقع في اربعة اجزاء

المطالعة التوجيهية

سلسلة حديثة مصورة في المطالعة والادب لمرحلة التعليم الثانوي . تقع في اربعة اجزاء

كيف اكتب

سلسلة كتب حديثة مصورة في الانشاء العربي للصفوف الابتدائية تقع في اربعة اجزاء

الجديد في قواعد اللغة العربية

سلسلة كتب حديثة مصورة في القواعد العربية للصفوف الابتدائية تقع في اربعة اجزاء
(اوصت وزارة التربية الوطنية بتدريسها في مدارس لبنان)

***

تطلب منشورات لجنة التاليف المدرسي من :
دار المكشوف ، دار بيروت ، دار العلم للملايين ،
مكتبة لبنان ومن سائر المكتبات

اعتراضات مجردة

بقلم كاظم الوائلي

ترتبت لدي عدة ملاحظات وانا امتع العين والذهن بما انضمت عليه جانحتا الاداب في عددها الاخير ، وكما هو شانها دائما، من شتيت الموضوعات : في المقالة الموضوعية التي تشارك مشاركة فعالة في مناقشة جوانب من المشاكل الشخصية والمجتمعية في الوطن العربي والعالم بصورة عامة . وفي البحث العلمي الرصين الذي يثير اضواء كاشفة حول قضايا الادب والفن والمجتمع وفي القصيدةالشعرية المضوعة ... غذاء الروح الخالد ! ثم في القصة ... ولعمري انه عطاء سخي ينتظم القصة المترجمة الى جانب القصة العربية المتطورة ، والتي كان لبعض امثلتها ـ في العهد الاخير ـ ما يقف بصلابة في صف اقوى انتاجات القصص العالمي صورة ومضمونا . ومع انيتقبلت كل ما جاءت به ديمة الاداب السمحة في عددها الاخير من قصص ، الا اني توقفت قليلا امام ثلاث من اقاصيص العدد ، وقد حضرتني ملاحظات متواضعة ، ازفها ، راجيا تقبلها بصدر رحب علما بان رحابة الصدر هي من اخص خصائص الاديب المؤمن ببنائية النقد الهادف النزيه . وسأتناول القصص حسب ورودها التسلسلي في العدد :

١ ـ رحلات السندباد السبع . جربت ان اقرأ قصة الاستاذ عبد الرحمن فهمي هذه ، ولو مرة واحدة ، في براءة او في حكمة ـ كما رجا الكاتب ـ فلماوفق ، للاسف ! قبل كل شيء ،نرجو من الاستاذ ، ان لا يحدد قراءه ذلك التحديد العجيب ، فما يكتبه للجميع وعلى الجميع تقع تبعة تقبله او الصد عنه . العودة في هذه (الرحلات) الى ماض سحيق اكل الدهر عليه وشرب .. الى ادب القرون الهجرية الاولى التي كانت نستمرىء ضمن ما تستمرىء احداث القصة او الحكاية الخرافية والتي لا تمت الى الصدق الادبي بصلة ما . ونحن نلمس كيف ان حكايات شهرزاد ـ بعد ذلك ـ في الف ليلة وليلة وحكايات السامرين والرواة المحدثين ، كانت تلاقي الرضا النهم ولذة التلقي من جانب الجمهور البسيط ذي الثقافة غير المكثفة . اما اليوم فقد جاء عصر قصصي اخر ، استنكرت فيه الاساليب العنترية والسندبادية وكل شيء عن ابسطة الريح وخواتم السحر وطاقيات الاخفاء وبهلوانيات المردة . لقد بدأ عصر الحكاية الواقعية المتحرجة الضاربة نحو التكامل البنائي ، الناسجة حول العقد الانسانيةالمزمنة ـ نفسية خاصة ام مجتمعية عامة ـ احداثها ، طاوية ضمنها كلما يستهدف تقديم الجدوى العلاجية لانسان اليوم وهو يواجه صعابه الحضارية،.. وهو يجاهد عقده النفسية الجائحة .. وهو يسبح في فيض لانهائي من الخوف والتمرد والقلق ومشاكل اخرى اكتنفت وجوده ، يقاومها مجردا الا من طاقته الفكرية الخلاقة التي تبحث في الاوليات لتضع على هديها النتائج ، اقول ، كل ذلك يمكن ان يكون عقدة قصصية ضرورية ورائعة ، وبذلك تسهم القصة مع بقية عناصر الفكر المبدع في ترميم صدوع المجتمع الحديث ورأبها وفي ترويض مشاكله المستشرية ، وهكذا تكون القصة مصلحا شامخا يطل في طريق البشرية الطائل خلدي النور ! والا فأي فائدة لانسان اليوم ـ والانسان العربي خاصة ، من اعادة مجددة منمقة لحكاية قديمة تنضم على احداث اسطورية غريبة تسلسلها روائية مسئمة تستوخي ضمن ما تستوخي قتل وقت القارىء واضافة صور شاذة رهيبة ـ كالدناسير مثلا ! ـ الى اوهامه ومرهباته، والا فأي جدوى يمكن ان تحصد من اعادة كتابة اسطورة مختلفة ـ حتى وهي تعتبر من تراثنا الادبي ، وحتى وهي تكتب باسلوب (سجعي) جديد ؟ أفي ذلك اثراء للكتابة العربية ؟ الا تكفي الليالي التي اربتعلى الالف والتي صبت خلالها شهرزاد ، ما طاب لها من بوح خرافي غير هادف ؟ واخيرا اقر باني شعرت بملل جالد وانا احاول انهاء القراءة متعجلا الصفحات الثمانية والنصف من الاداب التي خصصت للرحلة الاولى للسندباد ، متسائلا الم يكن الحري بالاداب ان تملأ تلك الصفحات بقصص اكثر غوصا في الواقع واعظم نفعا من ايراد شيء مكرور ام ان المجلة تؤمن بصلاح فكرة (في الاعادة افادة)وانا لا اظنذلك؟ ان الاسلوب الجميل ، الخلو من الفكرة الهادفة التي تهبه النبض ، غير كاف في مجال ادب القصصي المعاصر المنادي بتآلف الصورة والمضمون .. ومع كل هذا ، نحن بانتظار الرحلات الست الباقية للسندباد الحديث المغامر !! عل مغامراته فيها تكون اكثر ايجابيةوخصبا.

٢ ـ والقصة الثانية التي استجلبت انتباهي هي قصة «الدودة» للاستاذ فاروق خورشيد ، في هذه القصة تلمست ارتدادا اسطوريا يتجاوب مع حكاية السندباد التي تناولتها وان طلع هذا الارتداد بمظهر اكثر عمقا واقل خرافية واوغل تعمية ! وعلى هذا فقد جاء غير مواشك لبناء القصة المعاصرة المعتمد على اساس الهجر لكافة الوجودات المتقادمة اللاواقعية والمضخمة للاحداث ، وعلى امكانية الجدوى الانسانية او المجتمعية للعقدة القصصية ، وليس على نسج لا حقيقي عقيم . ولقد حاولت ان افهم القصة وانا اقرأها اكثر من مرة ولكني تحسست فيها غموضية غير مدركة الاتجاه ، فهل هي غموضية رمزية ؟ هل هي تفخيم صوري لمرض الوهم الذي يعانيه البعض بعنف ؟ هل هي تصوير لخصلة انسانية مخلة كالجشع مثلا ؟ الواقع ، ما من احد ـ او على الاقل انا ـ يستطيع ان يحدد مرمى القاص خورشيد في قصته هذه ، بيد انه ، قد يكون (المعنى في قلب القاص) كما ينطبق ذلك على الشاعر ! لقد قرأتها عدة مرات وبتمعن غير عادي ، وفي كل مرة ، كانت ترتسم امامي صورة عجيبة شائهة لشخص خرافي الخلقة : مأكول العينين مهشوم الاذنين محطوم الانف الى اخر تفاصيل الصورة القبيحة المقززة التي رسمها بابداع قلم الكاتب . والامر غير المعقول حقا كون هذه الصورة الشبحية الغابية تفكر ذلك التفكير الفلسفي الميتافيزيقي وتتساءل : « كيف خلق الله الوجود ؟ ولم ؟! » تفكر فيما وراء الواقع المحسوس عابرة واقعها ، عذابها ، تقززها ! ولقد اعجبتني تلك الوقفة القناعية الساذجة المتمثلة بهذا السطر على لسان بطل القصة الوحيد : « لقد ترك لك عينا ، وترك لك اذنا .. الا يكفيك هذا ؟ » بقيشيئان: الاول ما الذي يمكن تفسيره في وضعه لقلب البطل عند « اصبعه الاكبر لقدمه اليسرى » اهو دوس لكل سمو القلب ونزعاته الشرقة الغالبة وقرنها بالقدم .. اي بالحضيض ؟ والاخر : ما الذي يعنيه بهذه العبارة « اصلي دودة وكبرت ! » اهو تفكير تطوري داروني .. ام ماذا ؟

٣ ـ اما القصة الاخيرة ـ وهي قصة ابنه لعبد الله خيرت ـ فلا شأن لي باحداثها او اسلوبها ، انما استوقفتني استعمالات القاص للعامية واصطناعها في حوارات قصته ، ولقد احصيت له عشرة اماكن استعمل فيها الكاتب العامية دون الفصحى ، ونحن مع من يرى ضرورة اصطناع الفصحى في حوار القصة العربية ، وسأكتفي هنا بايراد نص من دراسة قيمة سبق ان قام بها الدكتور سهيل ادريس عن القصة العراقية الحديثة ، يقول الدكتور : « لا بد لنا هنا من ان نحذر بعض القصصيين المبدعين من المضي في استعمال اللغة العامية في الحوار ، فهم لا يدركون حقا مبلغ الاساءة التي يلحقونها بقصصهم في ذلك،وهم ينسون قبل كل شيء انهم لا يكتبون لقرائهم المحليين وحدهم .. »(١).

بغداد — كاظم الوائلي

(١) الاداب ، السنة الاولى ، العدد الرابع ، ص ٣٨ .